كِتَاب مَدحِ القِلَّة وذمِّ الكَثْرَة

للإمَام الأعظم زَيد بن عَلي عليه السَّلام

مُنتزع من مَجمُوع كُتبه ورسائِله

جمعه وتحقيقه

إبراهيم يحيى الدّرسي الحمزي

تقديم

شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام

مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي

أيده الله تعالى ونفع بعلومه

كتاب مدح القلّة وذم الكثْرة ·

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

قال الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الإثنينية:

أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن حاجب قراءة عليه، قال : حدثنا محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق بن راشد الراشدي، وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن علي بن عمر الكوفي، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن العباس بن الوليد المقانعي، قالا: حدثنا إسماعيل بن إسحاق بن راشد، قال : حدثنا العباس بن الفضل الوراق، قال: حدثني عمرو بن عبد الغفار الفقيمي البصري، قال : حدثنا عطاء بن مسلم الخفاف، عن خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي.

[لقاء خالد بن صفوان بالإمام زيد في الرصافة]

قال خالد بن صفوان: قدم علينا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الرصافة رصافة هشام[1] فبلغني فصاحته، وكثرة علمه، وبيان حجته، فدخلت عليه وهو متكئ وبين يديه حنطة مَقْلُوّة يقضم منها، فسلمت عليه.

فحمدت اللّه تعالى وأثنيت عليه، وذكرت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وما أكرمه اللّه تعالى به، وذكرت حيث توفاه اللّه تعالى فبايع النــاسُ أبـا بكــر،

(١) ـــ الرصافة: بضم أوله مشهور، إن لم يكن اشتقاقه من الرصف وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء فلا أدري ما اشتقاقه. ورصافة هشام موضع في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طريق البرية، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف. هكذا في معجم البلدان ٤٦/٣ ــ ٤٧.

فذكرت عدله، وسيرته، ثم ذكرت عمر بمثل ذلك، ثم عثمان بمثل ذلك، وذكرت فضله واختيار الناس وتفضيلهم إياه على سائر الناس، ورأوا أنه ليس أحد أحق بالخلافة منه.

وزيد بن علي عليهما الصلاة والسلام يتبسم إلي، وهو يقضم حبة بعد حبة.

ثم قلت: فوثب عليه قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار فقتلوه، فلن يزالوا في فتنة إلى يوم الناس هذا.

فاستوى الإمام أبو الحسين زيد بن علي — صلوات الله عليه — فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر ما اختصه الله تعالى به من الكرامة، واختيار الله إياه فبلغ رسالته، فلما قبضه الله تعالى إليه انطلق المسلمون إلى رجل صالح فبايعوه، ثم بايعوا بعده رجلاً، ثم انطلقوا بعده إلى رجل ظنوا به الخير، وظنوا أنه سيجري مجرى صاحبيه، فمكثوا زماناً ثم نقموا عليه شيئاً بعد شيء، حتى إذا آوى أقاربه السفهاء والطلقاء، وأقصى المهاجرين الأولين والأنصار، وآذاهم وأخرجهم من ديارهم، فاستعتبوه مرة بعد مرة، فأبى إلا اختيار أهل بيته والأثرة لهم، وكان المسلمون عليه بين قاتل، ومحضض خاذل.

فلما قتل انطلق ولاة هذا الدين من المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم من التابعين لهم بإحسان إلى (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام) حتى أخرجوه من بيته فبايعوه غير مكرهين، ثم أنهم نكثوا بيعته — يعني طلحة والزبير — من غير حَدَث، فلو أن الذين نكثوا بيعته نكثوا على أبي بكر وعمر لاستحل أبو بكر وعمر قتالهم.

[إعداد علماء الشام لمناظرة الإمام زيد]

قال خالد بن صفوان: فخرجت فلقيت جماعة من أهل الشام فحكيت لهم قول

الإمام أبي الحسين زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ فجاشت كلومهم[١]، وجاؤا معهم برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والبُصْر بالحجج، فجمعوا بينه وبين الإمام زيد بن علي ـــ عليه السلام.

قال خالد بن صفوان: وكنت قد لقيت زيد بن علي ـــ عليهما السلام ـــ قبل ذلك فقلت له: أصلحك الله أحب أن تكلم لي الشاميين.

[كلام الشامي في مدح الكثرة وذم القلة]

قال: فتكلم الشامي ؛ فذكر رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان وذكر أنهم ولاة هذا الدين، وأن الجماعة كانت معهم، وأن أهل الجماعة هم حجة الله على خلقه، وأن أهل القلة هم أهل البدع والضلالة، وأنه لم تكن جماعة إلا كانوا هم أهل الحق، حتى قتل عثمان فخرج علي بن أبي طالب باغياً مفرقاً للجماعة، حتى هاجت الفتنة فاقتتلوا حتى رُدَّ هذا الأمر إلى أهل بيت هذا الخليفة المظلوم عثمان ـــ يعني بني أمية.

[جواب الإمام زيد على الشامي]

قال: فحمد الله تعالى زيد بن علي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم تكلم بكلام ما سمعنا قرشياً ولا عربياً، أبلغ في موعظة، ولا أوضح حجة، ولا أفصح لهجة منه.

ثم قال: ذكرت الجماعة وزعمت أنه لم تكن جماعة قط إلا كانوا هم أهل الحق، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾

(١) ـــ الجأش: رُواع القلب إذا اضطرب عند الفزع، وجاشت نفسه: ارتفعت من حزن أو فزع. تمت قاموس، والكلوم: جمع كلْمٌ، بالسكون؛ وهو الجرح، تمت قاموس.

[ص:٢٤] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[هود: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[النساء:٦٦] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾[البقرة:٢٤٩].

وقال تعالى في ذم الكثرة والجماعة: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال في الجماعة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٤٤] وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣٤] وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩].

[كتاب مدح القلة وذم الكثرة]

قال ثم أخرج إلينا كتاباً قاله في الجماعة والقلّة، فيه:

أما بعد:

فإن أناساً من هذه الأمة يتكلمون في الجماعة ويزعمون أنهم أهل الكثرة، وأنهم حجة اللّه على أهل القلة من الناس، وأن القليلين من هذه الأمة هم أهل البدع والضلالة، وإنا سمعنا اللّه تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه وعلا نوره وظهرت حجته، قال ـــ فيما نزل من وحيه الناطق الصادق على محمد عبده ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، يخبر عن الأمم الماضية مثل: أمة نوح وهود وصالح وشعيب

وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم السلام، وهم أولوا العزم من الرسل، وغير أهل الكتُب ــ إن أهل الحق والجماعة وأتباع الرسل أهل القلــة، وإن أهل البدع والضلالة هم الأكثرون، وإنا سمعنا اللّه جل اسمه يثني على أهـــل القلـــة ويمدحهم، فكانوا على عهد أصحابهم وبعد أنبيائهم، ويذم أهل الكثرة ويُجَهِّلُهُـــم ويُسَفِّهُهُم ويكذبهم ويضللهم، وينهى عباده الصالحين عن اتباعهم، والإقتداء بهـــم، والأخذ بمنارهم.

[السور التي ذكر فيها مدح القلة]

فقال تعالى في السورة التي تذكر فيها البقرة

يذكر أهل القلة فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ(٨٣)﴾.

وقال اللّه تعالى:﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّـــهُ بِكُفْرِهِـــمْ فَقَلِيلًـــا مَـــا يُؤْمِنُونَ(٨٨)﴾.

وقال اللّه عز وجل عن قول إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِــــكَنَا وَتُـــبْ عَلَيْنَـــا إِنَّـــكَ أَنْـــتَ التَّـــوَّابُ الرَّحِيمُ(١٢٨)﴾ وكم ذرية إبراهيم؟

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ [وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ](٢٤٦)﴾(١) .

وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَـــةٍ

(١) ــ وقال تعالى بعد الآية السابقة في قصة طالوت: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ــ ٢٤٩﴾.

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(٢٤٩)﴾ يعني أن أهل القلة أهل الحق.

ومن سورة آل عمران

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٥٢)﴾، وروي أنهم كانوا اثني عشر رجلاً من جماعة بني إسرائيل.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ و لم يقل لبني إسرائيل ولا لغيرهم من أهل الكتاب: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤)﴾، فأخبر أنهم أمة من جميع أمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وقال تبارك اسمه ــ في بني إسرائيل، لمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم يخبره: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣)يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤)﴾.

ومن سورة النساء

قال اللّه تعالى في أمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم ــ المهاجرين خاصة: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا(٦٦)﴾، فأخبر اللّه تعالى أن أهل القلة هم أسدُّ سبيلاً، وأعظم أجراً، وأشدُّ في الإسلام تثبيتاً.

وقال اللّه جل اسمه:﴿ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا(٤٦)﴾.

وقال اللّه تعالى في أمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا(٨٣)﴾[١].

ومن سورة المائدة

قال اللّه تبارك وتعالى ـــ في أمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم لأهـل النفـاق منهم: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣)﴾.

وقال اللّه عز وجل لبني اسرائيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٣)﴾ وهما فيما بلغنا: يوشع بن نون، وكالب بن نوفيـا، رهـط أربعين ألف رجل من أمة موسى عليه السلام.

ومن سورة الأعراف

قال اللّه تعالى لأمة محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٣)﴾.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(١٥٩)﴾، و لم يقل أمة موسى، وهم مؤمنون بموسى عليه السلام والتوارة.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(١٠)﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(١٨١)﴾، و لم يقل لكل من خلق.

ومن سورة الأنفال

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ و لم يقل لأمة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم: كلهم يغلبوا مـائتين

(١) ـــ وقال تعالى بعد هذه الآية: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ـــ ١٤٢﴾.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ(٦٥)﴾.

ومن سورة يونس- عليه السلام -

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ (٨٣)، و لم يقل: لكل ذرية بني إسرائيل.

ومن سورة هود

قال اللّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(٤٠)﴾ فكانوا فيما بلغنا والله أعلم: مائتين شاباً من الأمم بعد آدم عليه السلام، فدعاهم إلى اللّه تسع مائة وخمسين سنة، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (١١٦)، وهم الذين نجوا مع أنبيائهم عليهم السلام، وبعد أنبيائهم عليهم السلام، وهم الذين نهوا عن الفساد في الأرض، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ(١١٦)﴾.

ومن سورة النحل

قال اللّه تعالى جل اسمه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (١٢٠)،وإنما عنى به إبراهيم صلى اللّه عليه وجعله أمة.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٨)﴾.

ومن سورة بني إسرائيل

يحكي قول إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا(٦٢)﴾، فالقليلون هم: الذين استنقذهم الله سبحانه وتعالى من ولاية إبليس.

وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٨٥)﴾.

فافهموا عباد الله عن الله تعالى ما أخبركم به في كتابه، أن القليل من الأمة هي فئة الله الغالبون، التي يغلب الله بهم الكثرة، وأنهم أنصار الله، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وأنهم أولياء لله وأنهم أهل الذكر، وأهل الشكر، وأنهم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وهم أهل البقية في دار إظهار الكفر، وأنهم أهل البقية الذين اتخذ الله تعالى من الأمم، وأنهم أهل العلم وزيادة الهدى، وأنهم الشهداء على الأمم، وأنهم أهل البأس على عدوهم، وأنهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأنهم لم يبدلوا ولم يغيروا بعد أنبيائهم، وأنهم الشاكرون من خلقه، وأنهم أهل الفقه والتهجد، والمستغفرين بالأسحار، وأنهم الأمة الوسطة من الأمم، فأنزلوهم[1] منزلتهم، ولا تقولوا على الله مالا تعلمون.

[الصور التي فيها ذم الكثرة]

وقال في أهل الكثرة يذمهم ويسيء الثناء عليهم وينهى الصالحين عن اتباعهم

فقال في سورة البقرة

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١٠٩)، وهم أهل التوارة — أمة موسى عليه السلام، يقرون بالله

(١) - في نسخة: فنزلوهم.

والتوراة، غير أنهم كتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكفرهم الله بذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٢٤٣)﴾: و لم يقل لأقلهم.

وقال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(١٠٠)﴾.

ومن سورة آل عمران

قال الله جل اسمه: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(١١٠)﴾.وإنما فسقهم الله لأنهم أقروا بما في كتابهم، و لم يقوموا به.

ومن سورة النساء

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١١٤)، و لم يقل: لأقلهم[1].

قال الله عز وجل في قوم موسى ــ عليه السلام ــ: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا(١٦٠)وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾(١٦١).

ومن سورة المائدة

قال الله جل اسمه يحكي قول بني إسرائيل: ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(٢٤)﴾.

وإنهم كانوا فيما بلغنا والله أعلم: أربعين ألفاً.

(١) ــ كذا في جميع النسخ، ولعله يعني: و لم يقل لا خير في أقلّهم.

[وقال تعالى(١)]: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(٣٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ(٤٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ(٥٩)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ [أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ](٨٠)﴾، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٨١)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٢)﴾.

وقال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٦٤).

وقال الله تعالى لأهل الكتابين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ(٦٦)﴾.

قال أمير المؤمنين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: في هذا الآية ما يشتمل أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضلالتهم والكتاب فمنزل كله، فمن لم يتبع كتابه فهو ممن وصفه الله تعالى بسوء عمله، وفساد أمره، والله لا يحب المفسدين.

وقال الله تعالى وتبارك في أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأهل

(١)ــ ما بين القوسين زيادة.

الكتاب: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٦٨)﴾.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ (٧١).

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ(٧٧)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(١٠٣)﴾.

ومن سورة الأنعام

قال الله عز وجل يُعَجِّب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من كفار قريش: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ(١١١)﴾.

وقال عز وجل ينهى محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن طاعة كثير ممن في الأرض، فقال عز من قائل كريم: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ(١١٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ](١١٩)﴾.

فقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن كثيراً من الناس أهل هوى وضلالة وجهالة. قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾(١٣٧)، وهذه أيضاً كالآية

التي قبلها.

ومن سورة الأعراف

قال الله تعالى يحكي قول إبليس الرجيم: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: الآخرة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني: الدنيا. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني: حسناتهم. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني: سيئاتهم. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾.

وقال تعالى يخبر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمم الخالية: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ(١٠٢)﴾، و لم يقل ذلك لأقلهم، لأنه قد علم تبارك وتعالى أنها اتبع الأنبياء عليهم السلام من كل أمة أقلها وأضعفها وأوضعها في حال الدنيا.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (١٧٩).

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين سُئِلَ عن قيام الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(١٨٧)﴾، يعني: قيام الساعة، قد أعلم الله تعالى الساعة القليل من خلقه وهم أهل صفوته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن من أشراط الساعة: مطراً ولا نبات، وتبايع الناس بالعينة[1]، وكثرة أولاد الزنى وترك العمل بكتاب الله تعالى، وتجارة النساء، وتجارة الراعي في أمته)) مع شرائط كثيرة.

وقال الله تعالى تصديقاً لذلك: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦)إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[الجن: ٢٦ ــ ٢٧].

(١) - العينة ــ بكسر العين: هي أن يبيع الرجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم، ثم يشتريها البائع ــ من ــ المشتري ــ بأقل مما باعها به أولاً.

ومن سورة الأنفال

قوله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المهاجرين والأنصار: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ(٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ(٦)﴾، ولم يخاطب الله تعالى بهذا المؤمنين الذين استكملوا الإيمان لأنهم لا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحق، ولكنهم مضوا على ما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾(٣٤): وهم الأقلون وأولياء الشيطان هم: الأكثرون.

ومن سورة التوبة

قال الله عز وجل: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ(٨)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ (٢٥)، فأخبر الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن الكثرة لا تغني شيئاً، وأن أهل القلة في كل أمر ممدوحون.

وقال الله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(٢٥)﴾.

قال أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي ـــ عليه السلام: وكانوا فيما بلغنا والله أعلم اثني عشر ألف رجل، ثم قال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٦)، وهم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وكانوا سبعة نفر من بني هاشم وبعضهم من الأنصار، منهم: العباس بن عبد المطلب أخذ لجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو سفيان بن الحارث

بن عبد المطلب ممسك بثفرها[١]،وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليـــه، والفضل بن العباس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: ﴿وَلَـــنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ١٩] يعـــني الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَـــأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (٣٤)، والأحبار والرهبان هم: علماء التوراة وقادة أهـــل الكتب، وهم جماعتهم عند أنفسهم.

ومن سورة يونس

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَـــا يَفْعَلُونَ(٣٦)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ(٩٢)﴾.

[ومن سورة هود[٢]]

وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١٧)﴾.

ومن سورة يوسف -عليه السلام -

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢١)﴾، وفيما حكى من قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ

(١) ــ ثفر الدابة: الخرقة التي توضع تحت ذنبها. تمت قاموس.

(٢)ــ ما بين القوسين غير موجود في الأصل.

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٣٨)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٤٠)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ(١٠٣)﴾ فأخبر جل وعلا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل القلة هم المؤمنون.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(١٠٦)﴾.

فأخبر أن أهل الكثرة لا يؤمنون ولا يفلحون، وأنهم أهل الشرك والفساد في الأرض إلى يومنا هذا وصدق الله ورسوله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سورة الرعد

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١)﴾.

ومن سورة إبراهيم (ص)، وعلى نبيننا وعلى آله وسلم

قال تعالى [حاكياً عن إبراهيم]: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(٣٥)رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾[1] (٣٦).

وقال تعالى [حاكياً عن قول إبراهيم]: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧)﴾، ولم يقل: أفئدة الناس كلهم.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

وقال تعالى [حاكياً قول إبراهيم أيضاً]: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ(٣٨)الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ

(١)ـــ هذه الآية بعد الآية التي تليها في الأصل، وقدمت لأجل ترتيب الآيات.

لي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٩)رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(٤٠)رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ(٤١)﴾، وإنما سأل للخاص من ذريته فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخاص، وهم دعوة إبراهيم، وقد علم إبراهيم أن كثيراً من ذريته يضلون كثيراً من الناس فلذلك قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٦)﴾.

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: يعني من كان على منهاجي فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم.

وفي هذا يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: ٣٢]، فمن تولى عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفر بما أنزل الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سورة أصحاب الحجر

قال الله تعالى يحكي قول إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٤٠)﴾، فعباد الله المخلصين هم: القلّة من الأمم أجمعين، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(٤٢)﴾، فمن أطاع إبليس لعنة الله تعالى عليه فقد اتبعه. والغاوون فهم: أهل جهنم.

ومن سورة النحل

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٨)﴾، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٧٥)﴾، وأخبر أن من كفر نعمة عنده من الله عز وجل فقد كفر، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[المائدة: ١١٥]. (يعني: المائدة).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور: ٥٥].

قال أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين: يعني كفر النعمة.

وقال الله عز وجل في ذلك: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ثم أخبر عن منزلة كفّار النعم، فقال: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(٢٨)﴾[إبراهيم] فهذا جميع فيمن كفر نعمة الله تعالى و لم يتب.

وقال الله تعالى يحكي قول كفار قريش: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(١٠١)﴾.

ومن سورة بني إسرائيل

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(٨٩)﴾.

ومن سورة الكهف

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ

هُدًى(١٣)﴾.

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي ــ صلوات الله تعالى عليه وسلامه: بلغنا والله أعلم أنهم كانوا سبعة نفر من عدة أمة من الأمم، وهم أصحاب الكهف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢٢): فأخبرنا أن لا يعلم عدتهم إلا قليل.

ومن سورة الأنبياء

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ(٢٤)﴾.

ومن سورة المؤمنين

﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٠)﴾، يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جاء قومه بالحق، فأخبر الله تعالى أن كثيراً من الأمة ولم يقل للخاص من الأمة.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(٧٨)﴾.

ومن سورة الفرقان

يعجب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن بعثه إليهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا(٤٤)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(٥٠)﴾.

ومن سورة الشعراء

قال الله تعالى لكفار قريش: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(٧)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(٨)﴾.

وقال الله تعالى يحكي عن قول فرعون لعنة الله عليه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)﴾ يعني: بني إسرائيل الذي قطعوا البحر مع موسى عليه السلام.

وقال الله تعالى لقوم فرعون: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ(٦٦)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(٦٧)﴾.

وقال الله تعالى في قوم نوح: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٢١)﴾.

وقال الله تعالى في قوم هود: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣٩)﴾.

وقال الله في قوم صالح: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ(١٥٧)فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٥٨)﴾.

وقال الله في قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ(١٧٣)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧٤)﴾.

وقال الله في قوم شعيب: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٩٠)﴾.

وقال الله فيمن أقرّ بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم و لم يتبع منهاجه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢١٥)فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ(٢١٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ(٢٢١)تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢)يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ(٢٢٣)﴾، فقد عرفنا عز وجل أن

كثيراً من الأمم أمم الأنبياء الهالكون وأن الأقل المهتدون، ألا فاعقلوا أيتها الأمة عن الله الذي أخبركم على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تخالفوا عما أمركم به فتضلوا كما ضلت الأمم بتركهم ما أمروا به.

ومن سورة النمل

قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٦١)﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٦٢)﴾ فأخبر تعالى أن أهل الذكر هم القليل.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(٧٦)﴾، وقد نهى عن الاختلاف فيما أنزل على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمرنا لنسلم لأمر الله تعالى. وأنتم تزعمون وترون خلاف كتاب الله تعالى، تزعمون الخلاف رحمة[1]، وقد وعد الله عليه العذاب.

ومن سورة القصص

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(١٣)﴾.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ(٢٠)﴾.

(١) - يشير الإمام زيد عليه السلام إلى تضعيف الحديث الذي رُوي عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو حديث مكذوب باطل لا أصل له؛ لأنه معارض للقرآن وما عارض القرآن فهو مردود.

قال مولانا أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي عليهم السلام: هو فيما بلغنا والله أعلم رجل يقال له: (حزقيل بن صابوت) مؤمن آل فرعون.

وقال تعالى: ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥٧)﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ (٥٨)، فأخبر الله تعالى أنه لم يهلك القليل.

وقال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (٧٥)، ولم يقل: للأمة كلها.

ومن سورة العنكبوت

يحكي قول إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى آلهما الكرام وسلم: ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾(٢٤).

وقال الله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾(٢٦) يعني لإبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى آلهما وسلم من عدة أمة من الأمم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٦٣)﴾.

ومن سورة الروم

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٦)﴾.

وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ(٨)﴾.

وقال: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٠)﴾.

ومن سورة لقمان رحمة الله عليه

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٢٥)﴾.

ومن سورة السجدة

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(٩)﴾.

ومن سورة الأحزاب

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا(١٨)﴾.

قال زيد بن علي: نزلت هذه الآية في أمة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، منافقي يوم الأحزاب.

وقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا(٢٠)﴾: يعني المنافقين.

وقال الله تعالى في المهاجرين والأنصار: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(٢٣)﴾، و لم يقل ذلك للمؤمنين كلهم.

وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(٢٨)وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا(٢٩)﴾، فلم يقل سبحانه فإن الله أعد لأزواجه كلهن، بل خاطبهن كلهن حتى فرغ من مخاطبتهنّ، ثم خص المحسنات بالأجر العظيم، و لم يعمُّهنَّ.

ومن سورة سبأ

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)﴾، ولم يقل: عبادي شاكرون كلهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢٠)﴾ فاستثنى بعضهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨)﴾.

[وقال تعالى:]﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ(٤١)﴾.

ومن سورة يس

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٧)﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (٢٠).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ـ عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم أنه رجل واحد وهو: (حبيب النجار) مؤمن آل يسين.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ(٦٢)﴾.

ومن سورة الصافات

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ(٧١)﴾.

ومن سورة ص

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ (٢٤).

ومن سورة الزمر

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٢٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٤٩)﴾.

ومن سورة المؤمن

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (٢٨).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: هو (حزقيل) مؤمن آل فرعون.

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٥٧)وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ(٥٨)إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(٥٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ(٦١)﴾.

ومن سورة حم السجدة

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣)بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا

يَسْمَعُونَ(٤)﴾.

ومن سورة الدخان

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣٩)﴾.

ومن سورة الجاثية

قال: ﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٦)﴾.

ومن سورة الأحقاف

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ﴾ (١٠).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ـــ عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم، أنه (عبد الله بن سلام)، رجل واحد من جميع اليهود.

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ(٢٩)﴾.

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام: بلغنا والله أعلم، أنهم سبعة نفر من الجن، وهم من أهل اليمن نصيبين[1]، آمنوا ليلة إذ مروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو تحت نخلة يقرأ القرآن فآمنوا به، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يشعر بهم وكانوا بموسى صلى الله عليه وسلم مؤمنين وبالتوراة من جماعة الجن.

---

(١) ـــ نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. معجم البلدان ٥/٢٨٨.

ومن سورة الفتح

قال الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا(١٥)﴾.

ومن سورة الحجرات

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٤)﴾.

وقال: ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(٧)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(١٢)﴾.

ومن سورة الذاريات

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)﴾.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٣٥)فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٣٦)﴾ وذلك في أربع قرى لقوم لوط صلى الله عليه وسلم، وهم أهل بيت لوط خاصة، فكان من نجا من هؤلاء لوطاً عليه السلام وابنتاه عورا ومؤمناً.

ومن سورة الطور

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٤٧)﴾.

ومن سورة اقتربت الساعة

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ(٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥)﴾.

والذين نجّاهم بسحر ثلاثة نفر: لوط وابنتاه عليهم السلام.

ومن سورة الواقعة

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠)أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١)فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(١٢)﴾.

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما السلام: هو رجل واحد نزلت فيه هذه الآية، وهو أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وهو أول من سبق إلى الإسلام(١).

وقال الله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ(١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ(١٤)عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ(١٥)مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(١٦)﴾.

ومن سورة الحديد

قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(١٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٢٧)﴾.

ومن سورة الصف

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي

(١)ــ تقدم تخريجه في كتاب تثبيت الوصية.

إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ(١٤)﴾.

وقال زيد بن علي ــ عليه الصلاة والسلام: وهم ــ فيما زعموا والله أعلم ــ ثلاثة عشر رجلا من جميع بني إسرائيل.

قال الله تعالى: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ (١٤).

ومن سورة الملك

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(٢٣)﴾.

ومن سورة (ن)

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)﴾.

وقال الإمام الأعظم أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم: أنهم كانوا ثلاثة أخوة بأرض اليمن، فلما رأوها ــ يعني جنتهم التي احترقت ــ ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧)قَالَ أَوْسَطُهُمْ ــ يعني أعدلهم قولاً ــ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨)﴾.

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليهما الصلاة والسلام: يعني هلا استثنيتم؟ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)﴾ فكان تسبيحهم استثناءهم.

ومن سورة الحاقة

قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(٤٠)وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(٤١)وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٤٢) تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٣)﴾.

فمن زعم أن هذه الآيات غير ما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مما اقتصَّ الله عليه، فقد افترى على الله كذباً، والله ورسوله والمؤمنون منه براء.

اللهم إنا نعوذ بك أن نفتري على الله الكذب، أو القول خلاف ما أنزلت من وحيك على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو نزعم أن الإسلام قول بغير عمل، أو نزعم أن من عصاك فهو ولي لك، أو نزعم أن الله لا ينجز وعده فيما وعد به عباده، ومن ثوابه وعقابه، أو نزعم أن الله سبحانه لم يكمل لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم دينه، أو نزعم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال خلاف ما أنزل الله إليه من حلال أو حرام.

قال خالد بن صفوان: مع أن كثيراً من كتاب الله قد ذكر، ما حفظت منه إلا هذا، فلم يذكر كثيراً إلا ذمه، ولم يذكر قليلا إلا مدحه، والقليل في الطاعة هم الجماعة، والكثير في معصيته هم أهل البدعة.

قال خالد بن صفوان: فبئس الشامي فما أحلى ولا أمر، وسكت الشاميون فلم يجيبوا لا بقليل ولا بكثير، ثم قاموا من عنده، فلما خرجوا قالوا لصاحبهم: فعل الله بك وفعل، غَرَرْتنا وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها فخرست فلم تنطق! قال: ويلكم كيف أكلم رجلا إنما حاجني بكتاب الله؟ فلم أستطع أن أكذب كتاب الله.

قال [عطاء بن أبي سلمة[1]]: فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج والخير على زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم الصلاة والسلام ورحمة الله والإكرام.

(١)— ما بين القوسين زيادة.

انتهى بعون الله تعالى، ونسأله أن يصلي على رسوله محمد وعلى آله وسلم

[تم بحمد الله تعالى كتاب مدح القلة وذم الكثرة]

مقتل عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

[حوار الإمام زيد مع خالد بن صفوان حول مقتل عثمان]

عن العباس بن بكار[1]، قال: حدثنا شبيب بن شيبة[2]، قال: سمعت خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري، يقول: لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك ــ وهو يومئذ بالرصافة وكان الناس يُخبّرون عن براعته، وكثرة علمه، وبيان حجته، وفصاحة لسانه، وشدة قلبه ــ دخلت عليه في منزله فسلمت عليه، وجلست وهو متكيء، فذكرت له أمر أبي بكر وعمر، ثم ذكرت له قتل عثمان، وأنّه قتله قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار.

فلما سمع كلامي استوى قاعداً فحمدالله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر.

---

(١) ــ العباس بن بكار الضبي البصري، يروى عن عيسى بن يزيد، وعبدالله بن سليمان، وشبيب بن شيبة، وخالد بن أبي بكر الهذلي، وعبدالله بن المثنى، وحماد بن سلمة، وخالد بن عمر الأزدي. وروى عنه: محمد بن زكريا العلابي، وحسن بن علي بن زكريا. عرف بتشيعه، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يُغْرِب، حديثه عن الثقات لا بأس به. توفي بالبصرة سنة(٢٢٢هـ) وله من العمر (٩٣سنة)، خرّج له المرشد بالله، والجرجاني.

(٢) ــ شبيب بن شيبة بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم أبو معمر البصري الخطيب ابن عم خالد بن صفوان، روى عن أبيه، وعن خالد بن صفوان، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين. وروى عنه: العباس بن بكار، والأصمعي، وجبارة بن المغلس، وعيسى بن يونس، ووكيع بن الجراح وجماعة. كان بليغاً فصيحاً، قيل له الخطيب لفصاحته، وكان ينادم خلفاء بني أمية، ويفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، توفي في حدود السبعين ومائة، روى عنه محمد بن منصور.